السفارات المتبادلة بين الخلافة الفاطمية والإمبراطورية
البيزنطية خلال فترة حكم الدولة الفاطمية في مصر
(٣٦٢ - ٥٦٧هـ / ٩٧٣ - ١١٧١م)

إعداد

هبة محمد عبد الموجود محمد

دكتوراه في تخصص التاريخ الإسلامي

بكلية الآداب - جامعة حلوان

تتناول هذه الدراسة الدور الهام الذي لعبته السفارات في العلاقة بين الدولتين الفاطمية والبيزنطية فالسفارة والسفير هما أداة تحقيق السياسة الخارجية للدولة وتلبية مصالحها، والسفارات المتبادلة بين الدول تعبر بوضوح عن الحالة السياسية القائمة بين تلك الدول، وتعتبر الدولة البيزنطية امتدادًا للإمبراطورية الرومانية، وقد ظهر مسمى الإمبراطورية البيزنطية للتعبير تاريخيًا عما حدث من تحول بعدما أنشأ الإمبراطور قسطنطين الكبير مدينة القسطنطينية على موضع مدينة بيزنطة الواقعة على البوسفور واتخاذها عاصمة جديدة له^(١)، ثم تزامن ظهور الإسلام وهجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في القرن السابع الميلادي مع فترة انتصارات الدولة البيزنطية على الفرس^(٢) ومن ثم اجتاحت الجيوش الإسلامية الأراضي والأقاليم المجاورة للجزيرة العربية ففضى العرب المسلمين على الدولة الفارسية كما انتزعوا من الدولة البيزنطية الأقاليم والبلدان المطلة على البحر المتوسط شرقًا وجنوبًا والتي كانت خاضعة للبيزنطيين منذ وقت طويل، كما تعرضت القسطنطينية للهجوم المستمر والحصار من المسلمين إلا أنها ظلت صامدة وظل الموقف يتأرجح بين الجانبين متأثرًا بتغير حال الجانبين بين القوة والضعف، وقبل ظهور الفاطميين على الساحة تحول ميزان القوى لصالح الدولة البيزنطية بعدما بدأ حكم الأسرة المقدونية حيث أخذ البيزنطيين يتوسعون على حساب أراضي الدولة الإسلامية خاصة في الشام^(٣).

وقد تزامنت فترة قيام وحكم الدولة الفاطمية في المغرب ومصر (٢٩٧-٥٦٧ هـ / ٩٠٩-١١٧١ م) مع حكم غالبية الأباطرة البيزنطيين من الأسرة المقدونية التي حكمت الإمبراطورية البيزنطية لمدة طويلة تقارب المائتي عام (٢٥٣-٤٤٩ هـ / ٨٦٧-١٠٥٧ م)، ولا شك أن البيزنطيين قد وضعوا في اعتبارهم الاختلافات والفروق المذهبية التي ظهرت في العالم الإسلامي وما نشأ عنها من صراعات بين القوى الإسلامية بعد قيام الدولة الفاطمية الجديدة التي ادعت الخلافة رغم وجود خلافة أخرى قائمة بالفعل وعملوا على الاستفادة من ذلك فكانت أحد الطرق الفعالة لذلك هي التواصل الدبلوماسي مع الدولة الجديدة.

السفارات المتبادلة بين الحانين بعد انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر :-

قبيل استعداد الفاطميين لغزو مصر، تعرضت الثغور الشامية لتهديد كبير من البيزنطيين حيث تمكنت قوات الإمبراطور البيزنطي نقفور الثاني فوقاس Nicephorus II Phocas^(٤) (٣٥٢ - ٣٥٨ هـ / ٩٦٣ - ٩٦٩ م) من الاستيلاء على العديد من مدنها ولم تتصدى لهم اية قوة اسلامية^(٥).

وبعد دخول الفاطميين مصر، اتجهوا إلى استعادة المدن التي احتلها البيزنطيون في شمال الشام، فتوجهت الجيوش الفاطمية إلى هناك تحت قيادة القائد جعفر بن فلاح، الذي حاول من خلال الحملات الفاطمية المتتالية اجلاء البيزنطيين عن مدينة أنطاكية^(٦)، ولكن كان مصيرها الفشل وذلك بسبب انشغال الفاطميين بمواجهة خطر القرامطة والقضاء عليهم^(٧).

أ- السفارات البيزنطية إلى القاهرة في عهد الخليفة المعز لدين الله :-

١) سفارة عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م:

أرسل الإمبراطور البيزنطي آنذاك حنا زيمسكيس^(٨) John Tzimiscas (٣٥٩ - ٣٦٦ هـ / ٩٦٩ - ٩٧٦ م) رسوله إلى الخليفة المعز (٣٤٢ - ٣٦٥ هـ / ٩٥٣ - ٩٧٥ م) وقد وصل الرسول البيزنطي إلى القاهرة في رمضان عام ٣٦٣ هـ / منتصف عام ٩٧٤ م، وقد اجتمع الناس في الشوارع لمشاهدة موكب السفير، في حين استعد المعز لاستقباله بالجلوس على سرير الملك الذهبي في حضور رجال الدولة.

ولما دخل السفير إلى مجلس الخليفة الفاطمي ظل يقبل الأرض تحية واجلالاً له ثم أذن له بالجلوس، ولكن أحد الحضور، وهو علي بن الحسين قاضي "أذنة" تكلم معلناً رفضه لتواجد السفير البيزنطي حيث قال أنه "آفة على الإسلام، والمؤذي للمسلمين والأسارى"، وبطبيعة الحال فقد أنكر المعز قوله وأمر بإخراجه من المجلس، وحينئذ تكلم السفير عن مهمته وهي طلب الهدنة واستلم المعز رسالة الإمبراطور البيزنطي منه وأنزله في دار^(٩).

ويبدو من ذلك أن المعز لم يعط جوابا بشأن طلب الإمبراطور البيزنطي للهدنة وأجل الجواب فيما ظل السفير مقيما في القاهرة حتى مات في نهاية السنة في ذي الحجة، وأرسل المعز جثمانه في تابوت إلى الروم^(١٠).

إذا تتبعنا الأحداث لمعرفة دوافع الإمبراطور البيزنطي لطلب الهدنة في ذلك التوقيت، سنجد أن الفاطميون قد تمكنوا من دحر القرامطة واعدوا السيطرة على دمشق وطرابلس والمناطق الحصينة التي سبق ان استولى عليها البيزنطيون، ومع هذه السيطرة عاد التهديد الفاطمي المتوقع لأنطاكية معقل البيزنطيين في الشام، وكل هذا في الوقت الذي كان زيمسكيس يقود قواته في حملة على اراضي الدولة العباسية بالجزيرة^(١١)، ولما عاد زيمسكيس إلى القسطنطينية ترك احد قادته الذي يعرف بالدمستق على رأس القوات ولكنه وقع في الأسر ومات فيه وكانت هذه تعد خسارة فادحة بالنسبة للإمبراطور البيزنطي^(١٢)، ولعله اراد بطلب الهدنة مع الفاطميين ان يأمن جانبهم فلا يقوموا باستغلال الوضع وانتزاع المناطق الخاضعة لسيطرة البيزنطيين.

وعلى العموم يبدو ان هذه السفارة لم تحقق هدفها بعقد الهدنة، خاصة وقد قام زيمسكيس في عام ٣٦٤ هـ / ربيع ٩٧٥ م بقيادة حملة جديدة على الشام حيث استهدف هذه المرة الاراضي الواقعة تحت سيطرة الفاطميين واستطاع تحقيق انتصارات على القوات الفاطمية فلم تقاومه المدن الكبيرة مثل بعلبك ودمشق وبيروت وطرابلس^(١٣)، بل انه تمكن من اسر عدة قادة فاطميين ممن يحكمون هذه المدن عن المعز مثل جيش بن الصمصامة ونصر الخادم، كذلك استولى على عدة حصون هناك مثل بانياس وصهيون، وعاد إلى انطاكية ومنها إلى القسطنطينية^(١٤).

٢) سفارة عام ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م:

أرسلها الإمبراطور حنا زيمسكيس في عام ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م بعد عودته من الحملة السابقة على بلاد الشام، وقد اختار على رأسها أحد أشرف البلاط البيزنطي والذي سبق وأن تم ارساله سفيرا إلى المعز في افريقية.

لم تذكر المصادر الهدف من السفارة أو مهمة السفير البيزنطي بالتحديد، وإنما اهتمت فقط بذكر الحديث الذي دار بين الخليفة المعز والسفير في احد الايام اثناء اقامة السفير وكان هذا الحديث - حسب قولهم - سببا في وفاة المعز^(١٥)، أغلب الظن ان الإمبراطور البيزنطي رغب في تأمين الانتصارات التي حققها او على الأقل بقاء الفاطميين بعيدين عن مهاجمة انطاكية من خلال عقد هدنة معهم.

وقد جرت أحداث هذه السفارة بدءا باستعداد القاهرة لاستقبال السفارة البيزنطية التي عند وصولها أغلقت الحوانيت، وخرج الناس لمشاهدة موكب السفير، وقد بقي هذا السفير في ضيافة الخليفة المعز أياما، ثم انفرد به المعز ودار بينهما الحديث حول رأي السفير في تنفيذ وعد المعز له في السفارة السابقة بالمهدية، بأنه سيدخل عليه مصر وهو مالکها، ووعد بوعده جديد بأنه - أي السفير البيزنطي - سوف يزوره في بغداد كذلك، وهنا أخذ السفير من المعز الأمان ثم قال له ما ملخصه أنه لم ير هذه المرة ما رآه في المهدية من العظمة والبهاء بل انه رأى القاهرة "سوداء مظلمة" وأنه قال في نفسه حينها "إن ذلك كان أمرا مقبلا وإنه الآن بضد ما كان عليه"، وكان قول السفير هذا كفيلا بجعل المعز حزينا لدرجة اصابته بمرض الموت حيث مات في السنة نفسها^(١٦).

لاشك أنها جراءة كبيرة من السفير ان يقول مثل هذا الكلام للمعز، ولكنه مثلما سبق الذكر ليس سفيرا عاديا بل هو احد اهم رجال البلاط البيزنطي كما انها ليست المرة الأولى التي يقابل فيها المعز، ولعل اختيار الإمبراطور البيزنطي لتوقيت ارسال الرجل تماما عقب عودته من حملته الناجحة على اراضي الفاطميين في الشام، مما ساهم في تأثر المعز بقول السفير بهذا الشكل الكبير، بالإضافة إلى ان اختيار السفير لهذه الكلمات التي تبدو اقرب لكلام المنجمين مثل "سوداء مظلمة" و "أمرا مقبلا وإنه الآن بضد ما كان عليه"، انما يدل على ذكاء السفير ومعرفته باهتمام المعز بالتنجيم وتصديقه لكلام المنجمين^(١٧)، فعلة اثناء اقامته في ضيافة المعز قد سمع شيئا قد قيل في هذا الشأن للأخير من منجميه فأراد السفير تعزيزه لاحباط الخليفة وتثبيط همته.

ب- السفارات البيزنطية في عهد الخليفة العزيز بالله:-**(١) سفارة عام ٣٨٥هـ / ٩٩٥ م:**

نظرا لاستمرار تجاور الفاطميين والبيزنطيين في الشام ظلت العلاقات تتأرجح بين الحرب والسلام، ومنذ العام ٣٨١هـ / ٩٩١ م ارسل العزيز بالله جيشا كثيفا تحت قيادة منجوتكين، وهو احد الاتراك الذين اصطنعهم، من اجل استعادة السيطرة على مدن الشام خاصة حلب^(١٨)، وظلت الاخبار ترد في ذلك العام وما تلاه بما حققه منجوتكين من انتصارات اذ تمكن من هزيمة القوات البيزنطية الحامية لأنطاكية^(١٩)، وكذا السيطرة على دمشق واستولى على حمص وحماة وشيزر^(٢٠)، كما انه خلال تلك الاعوام حاول اخذ حلب من حكامها الحمدانيين فظل يعاود ضرب الحصار حولها مرة بعد اخرى لكن الحمدانيين كانوا يستجدون بالبيزنطيين، وجرت على اثر ذلك عدة معارك بين الجيش الفاطمي وبين الروم وحلفاءهم الحمدانيون استطاع منجوتكين تحقيق النصر فيها اكثر من مرة^(٢١)، وفي أواخر سنة ٣٨٤هـ وحتى اوائل ٣٨٥هـ / ٩٩٥ م كان منجوتكين محاصرا لحلب وشدد الحصار عليها وازاء ذلك قام الحمدانيون بمراسلة الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني (٣٦٦ - ٤١٦هـ / ٩٧٦ - ١٠٢٥م) وقالوا له: "متى أخذت حلب أخذت أنطاكية"^(٢٢)، وبالفعل أثار هذا الوضع قلق الإمبراطور حتى انه تحرك على الفور لنجدة حلب خوفا من سقوطها في أيدي الفاطميين وما قد يشكله ذلك من خطر على انطاكية، وذلك على الرغم من انه كان في وضع حرج اذ كان منشغلا في قتال البلغار^(٢٣)، وقد وصل باسيل إلى انطاكية في صحبة جيش ضخم في ربيع الأول ٣٨٥هـ / أبريل ٩٩٥ م ثم توجه منها إلى حلب ولما سمع منجوتكين بذلك رفع الحصار عن حلب وتراجع بقواته على الفور إلى دمشق في حين عظم الخبر على العزيز فنأدى بالنفير واعد العدة للمسير لملاقاة البيزنطيين وجمع لاجل ذلك جيشا ضخما، اما الإمبراطور باسيل فقد اجتمع مع الحمدانيين بعد وصوله إلى حلب وتوجه منها إلى المدن الواقعة تحت سيطرة الفاطميين، فتمكن من شيزر وحمص وحاول الاستيلاء على طرابلس ولكنها امتنعت عليه، فتركها وقام بتعمير حصن أنطرسوس وشحنه بالأرمن المقاتلة ثم توجه عائدا إلى أنطاكية ومنها إلى القسطنطينية^(٢٤).

وأثناء تواجد العزيز في معسكره خارج القاهرة حيث كان يتم حشد القوات للتحرك لقتال الإمبراطور البيزنطي وجيشه، وصلت سفارة من قبل الإمبراطور باسيل، وكان هدفها طلب الصلح وقرار الهدنة، وقد اعتذر السفير البيزنطي عن مسير الإمبراطور إلى الشام واخبره انه رحل عنها بالفعل، وقد أجابهم العزيز إلى ما طلبوه ولكنه اشترط لاقرار الهدنة عدة شروط قاسية لكنهم قبلوا بها، وكانت كالتالي:

- ١- ان يلتزموا بعدم ابقاء أي أسير مسلم لديهم وأن يحلفوا له بذلك.
 - ٢- أن يُخطب للعزيز في جامع القسطنطينية كل جمعة.
 - ٣- أن يؤدوا اليه ما يفرضه عليهم من أمتعتهم.
- وقد قرر العزيز أن تكون الهدنة لمدة سبع سنوات^(٢٥).

ويبدو أن العزيز رغم اقرار الهدنة بين الجانبين ظل في معسكره في بلبس بسبب ظروف مرضه الذي أدى إلى وفاته هناك سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م، حيث أخذ برجوان الخادم^(٢٦) البيعة لولده أبي علي المنصور الذي تلقب بـ (الحاكم بأمر الله)^(٢٧).

ج- السفارات المتبادلة في عهد الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢١ م):

١- السفارة الأولى من الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني إلى الحاكم:

في أواخر عام ٣٨٨ هـ / خريف سنة ٩٩٨ م أرسل الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني سفارة إلى الخليفة الحاكم، كانت تلك السفارة البيزنطية تتألف من سفيرين بغرض طلب الهدنة والصلح^(٢٨).

ويرجع سبب ارسال تلك السفارة إلى سلسلة من الأحداث جرت في الشام، اهمها عصيان أهل صور سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م ضد الحكم الفاطمي وقيامهم بتنصيب رجل يدعى "العلاقة" والذي قام بمراسلة الإمبراطور البيزنطي طالباً نجده لمواجهة القوات الفاطمية، وقد ارسل له الإمبراطور قوات بحرية لمساعدته، وكان الفاطميون في الوقت ذاته قد وجهوا قواتهم البحرية والبرية إلى صور، فالتقى الأسطولان البيزنطي والفاطمي وانتهت تلك المعركة البحرية بانتصار الفاطميين، واضطر أهل صور أمام ذلك إلى الاستسلام وتم القبض على "العلاقة" وارساله إلى القاهرة وذلك في جمادى الآخر سنة ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م^(٢٩).

وقد اتفق في ذات العام قيام دوق أنطاكية دميانوس دلاسينوس بمهاجمة حصن أفامية، ولذلك توجهت إليها القوات الفاطمية من كافة مدن الشام للتصدي للبيزنطيين، وقد كاد الجيش الفاطمي أن يهزم لولا مقتل الدوق دلاسينوس، وتم أسر أبناء الدوق وجماعة من قادة القوات البيزنطية تم حملهم إلى مصر^(٣٠).

وبينما كان الإمبراطور البيزنطي باسيل منشغلا بحرب البلغار^(٣١)، وصلت أخبار الفاجعة التي حلت بقواته في أفامية واستعادة الفاطميين سيطرتهم الكاملة على الشام، ويبدو أنه خشي أن تتابع القوات الفاطمية التقدم في المناطق الخاضعة للسيطرة البيزنطية، لذلك بادر بإرسال تلك السفارة المؤلفة من رسولين إلى الخليفة الحاكم بأمر الله لطلب الهدنة والصلح، وما حدث أن الحاكم أرسل أحد الرسولين بجواب رسالة الإمبراطور في حين أبقى الرسول الآخر لحين ورود الجواب مرة أخرى إلى مصر، ولكن الإمبراطور البيزنطي تحرك على الفور ليقود حملة عسكرية على الشام^(٣٢).

ان ما يمكن استنتاجه من تلك الأحداث هو أن الحاكم وخادمه برجوان أرادا استغلال وضع القوة والانتصارات التي حققتها القوات الفاطمية في الشام، ولهذا ترجح الباحثة أن الجواب الذي تم إرساله إلى الإمبراطور البيزنطي كان عرضا او شروطا مبالغاً فيها من أجل عقد الصلح وقرار الهدنة بين الجانبين، الأمر الذي جعل الإمبراطور باسيل - رغم انشغاله بقتال البلغار - يتحرك من فوره دون أن يرسل جوابا إلى الحاكم، ليهاجم الشام.

وقد وصل باسيل إلى الجسر الجديد بالقرب من أنطاكية في شوال ٣٨٩ هـ/ سبتمبر ٩٩٩ م، فاجتاز سهل أفامية حيث المعركة التي انهزم فيها البيزنطيون وقُتل قائدهم دلاسينوس دوق أنطاكية، ومن هناك تحرك إلى شيزر حيث حاصرها حتى استولى عليها بعد ما خرج منها واليها من قبل الحاكم والذي يُعرف بابن كراديس، ثم استولى على مجموعة من الحصون الواقعة في شمال الشام وقامت قواته بتخريبها، وفي ذي الحجة ٣٨٩ هـ/ ديسمبر ٩٩٩ م، زحف على حصن طرابلس وحاصره وعندما حاولت قواته مهاجمة الحصن تعرضت لهزيمة منكرة وذلك في مستهل المحرم ٣٩٠ هـ، فاضطر إلى الرحيل عنها متوجها إلى أنطاكية^(٣٣).

٢- السفارة الثانية من الحاكم بأمر الله إلى القسطنطينية عام ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م:

بعد ان وصلت إلى القاهرة أخبار رحيل الإمبراطور البيزنطي عن الشام، قرر القائمين على حكم الخلافة الفاطمية، ممثلين في برجوان الخادم والحاكم بأمر الله، ان يقوموا بإرسال سفارة للتفاوض بشأن عقد الهدنة بين الجانبين لتصبح السفير البيزنطي الذي ظل باقيا في القاهرة كما سبق الذكر^(٣٤).

تم اختيار بطريك بيت المقدس أريسطس Orestes ليتأس السفارة الفاطمية، وترجح الباحثة ان هذا الاختيار كان ناتجا عن مشورة أخت الحاكم وابنة الخليفة العزيز "سيدة الملك" اذ كان البطريرك أريسطس خالها^(٣٥)، ويبدو انهم جميعا رأوا ان منصبه الديني سوف يسهل مهمته في التفاوض مع البيزنطيين.

قبل ارسال السفارة تم عقد اجتماع بين سفير الدولة الفاطمية أريسطس والسفير البيزنطي برئاسة برجوان الذي أكد للسفير البيزنطي ان الخليفة الحاكم قد فوض البطريرك أريسطس لاتخاذ القرار بشأن ما سيتم الاتفاق عليه لتقرير الهدنة، ثم خلع برجوان على كليهما بخلع نفيسة، كما انه ارسل إلى الإمبراطور البيزنطي الهدايا من اجل اظهار الود والتلطف، وقد قبل الإمبراطور باسيل هذه الهدايا وتمكن اريسطس من عقد الهدنة بين الجانبين لمدة عشر سنوات^(٣٦)، وقد ظل البطريرك اريسطس بالقسطنطينية لمدة أربع سنوات ولم يرجع إلى المشرق اذ انه قدمات بها^(٣٧).

٣- سفارة الإمبراطور باسيل الثاني إلى الحاكم بأمر الله منتصف عام ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م:

ارسل الإمبراطور باسيل هذه السفارة وفقا لما تقتضيه اصول الدبلوماسية بين الدول والملوك، اذ أنه بعدما قبل الهدايا التي وجهها اليه الفاطميين في السفارة السابقة وقبول كلا الدولتين عقد الصلح؛ كانت العادة الدبلوماسية ان يقوم بدوره بإرسال الهدايا ايضا^(٣٨).

جرى الاستعداد لاستقبال هذه السفارة على افضل ما يكون حيث امر الخليفة الحاكم بأن يتم فرش ايوان القصر بكل ما يمكن ان يبدو غريبا ومثيرا للعجب، ولذا أمر باستخراج النفائس الموجودة بخزائن الفرش فوجدوا فيها ما قد كتب عليه: "الحادي والثلاثون وثلاث مائة من عمل العبيد^(٣٩): ديباج غرز بذهب" كانت قد حملت من القيروان إلى مصر عندما دخل اليها

المعز لدين الله، وقد تم فرش جميع الايوان منه "وكان جميعه: أرضه وحيطانه، ذهباً يتلألاً. وعلقت في صدر الايوان العسجدة. وهي ورقة من ذهب مكلفة بفاخر قطع الجواهر النفيس من كل اصنافه، يضئ لها ما حولها"^(٤٠).

وقد وصلت السفارة البيزنطية إلى القاهرة في جمادى الثاني ٣٩١ هـ/ مايو ١٠٠١ م، فتم عمل استقبال رسمي مميز للسفير حيث تم استدعاء العساكر من سائر الأعمال وانتظموا في صفين حيث سار السفير البيزنطي بينهما إلى باب الفتوح ثم نزل ومن هناك مشى إلى القصر حتى وصل إلى الحاكم بأمر الله حيث دخل إليه في الايوان "وقبل الأرض، ودفع الكتب وعرض الهدية"^(٤١).

ويبدو من هذا الاهتمام الكبير من الخليفة الحاكم باستقبال تلك السفارة، إلى كونها اول سفارة بهذا المستوى الذي يمثل الإمبراطور البيزنطي، تأتي بعد فرضه لسيطرته على زمام السلطة بالكامل بعد تخلصه من الأستاذ برجوان سنة ٣٩٠ هـ/ ١٠٠٠ م^(٤٢).

٤ - سفارة من الحاكم إلى باسيل الثاني عام ٤٠٤ هـ/ ١٠١٣ م:

ارسل الخليفة الحاكم بأمر الله عبد الغني بن سعيد سفيرا^(٤٣) مع آخر يرافقه حيث تم تجهيز هدية عظيمة لإرسالها إلى الإمبراطور البيزنطي^(٤٤) ربما بلغت سبعة آلاف دينار وبدأ الاعداد لها من اواخر العام السابق ٤٠٣ هـ^(٤٥)، ويبدو انه قد ارسل هذه السفارة في محاولة منه لاطهار التمسك بالهدنة القائمة بين الجانبين، حيث انه اتخذ عدة اجراءات تعسفية واصدر مجموعة من المراسيم والسجلات الدينية والاجتماعية ضد اهل الذمة وخاصة المسيحيين، ففي المحرم من عام ٣٩٥ هـ/ ١٠٠٤ م بدأت موجة الاضطهاد الحاكمية تجاه اهل الذمة من اليهود والنصارى حيث أمرهم بشد الزنار ولبس العمام السود^(٤٦)، وفي عام ٣٩٨ هـ/ ١٠٠٨ م أمر بهدم كنيسة القيامة في بيت المقدس حتى يختفي أثرها، ثم وجه أوامره بهدم كافة الكنائس ودور العبادة الخاصة بأهل الذمة ولم يوقفه عن التنفيذ سوى قيام من حوله بتحذيره من قيام حكام البلاد المسيحية بالرد على ذلك عن طريق هدم مساجد المسلمين^(٤٧)، لكن ذلك لم يوقفه عن اصدار الأمر في عام ٤٠٠ هـ/ ١٠١٠ م بهدم دير القصير بالمقطم وهو احد

اديرة الطائفة الملكانية وقيام العبيد بنش قبورهم الموجودة في ظاهره، كما أرسل من قام بهدم كنيسة كبيرة لهم في دمياط^(٤٨).

عاد الحاكم إلى التضييق على أهل الذمة في ذات العام الذي أرسل فيه تلك السفارة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢م حيث أمرهم بتعليق الصلبان الخشبية في أعناقهم، ومنعهم من ركوب الخيل وسمح لهم بركوب البغال والحمير فحسب وغيرها من الاجراءات حيث "كثرت اهاناتهم وضيق عليهم"^(٤٩)، ويبدو انه خشي من ردة فعل سلبية للإمبراطور البيزنطي ازاء تلك الاجراءات ولذلك ارسل تلك الهدية لاطهار الود ومحاولة لتحديد موقف الإمبراطور تجاه ما يتم ضد رعايا الدولة الفاطمية المسيحيين.

٥- سفارة الإمبراطور البيزنطي إلى الحاكم بأمر الله عام ٤٠٥ هـ / ١٠١٤م:

جاءت هذه السفارة البيزنطية إلى القاهرة فيما يبدو كرد لهدية الخليفة الفاطمي السابقة، وقد جرت احداثها باستعداد القاهرة لاستقبال السفارة حيث اصطف الجنود بكامل هيئتهم بالعدو والأسلحة من باب القصر حتى سقاية ريدان^(٥٠)، وقد استعد الخليفة الحاكم بذاته ومعه ولي عهده^(٥١) حيث ركبا ومعهما الجواهر.

وصل السفير البيزنطي إلى القصر بالهدية التي يحملها، وكان في صحبته عبد الغني بن سعيد عائدا من السفارة السابقة المرسل من قبل الفاطميين، وقد خلع عليه الخليفة الحاكم في حين تمت استضافة السفير البيزنطي في احد الدور بالقاهرة^(٥٢).

جدير بالذكر انه بسبب تلك السفارة امر الحاكم بإعدام ثلاثة من الركابية^(٥٣)، حيث وصل اليه انهم تلقوا هبةً أو اكرامية من السفير^(٥٤)، ولا غرابة في رد فعل الحاكم على هذا التصرف الصادر من هؤلاء الركابية، اذ انه منذ سيطرته على مقاليد الامور وهو يحرص على ظهور الدولة بأفضل مظهر امام السفراء البيزنطيين وهو ما رصدناه في السفارات السابقة، وبالتالي فقد اعتبر ان قبولهم مثل هذه الهدية من السفير انتقاصا من هيبة الدولة ومظهرها، بالإضافة لما عرف عنه من جرأة وتسرع لسفك الدماء.

على الرغم من تلك السفارات الودية الأخيرة والهدايا المتبادلة بين الجانبين الا انها لم تمنع تدهور العلاقات بينهما، خاصة في ظل استمرار الاجراءات التعسفية من الخليفة الحاكم تجاه اهل الذمة، فقد قام الإمبراطور باسيل الثاني بقطع العلاقات مع الدولة الفاطمية في مصر والشام في عام ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ومنع رعاياه من السفر والمتاجرة معها^(٥٥).

د- السفارات المتبادلة في عهد الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١ - ٤٢٧ هـ / ١٠٢١ - ١٠٣٥ م):

نظرا لتوتر العلاقات بين الجانب الفاطمي والجانب البيزنطي بسبب سياسة الحاكم بأمر الله، وما نتج عن ذلك من اثاره القلائل والفتن والثورات في اراضي الجانبين بالشام، كان لا بد من محاولة ايجاد تفاهم بين الجانبين واحداث انفراجة في العلاقات بينهما وهو ما ادركه القائمين على الدولة الفاطمية خاصة.

١ - سفارة فاطمية غير رسمية إلى الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني:

أرسلت ست الملك عمه الظاهر تلك السفارة إلى الإمبراطور باسيل عام ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م، ولكنها لم تكن سفارة على المستوى الرسمي اذ لم تحمل مكاتبة رسمية مرسله باسم الخليفة، وانما عمدت سيدة الملك إلى ارسال نيقفور بطريك بيت المقدس ليطلع البيزنطيين على تغير السياسة التعسفية المتبعة ايام الحاكم تجاه الأماكن المسيحية المقدسة من حيث عودتها للعمل وخاصة كنيسة القيامة وتجاه رعايا الدولة من النصارى من حيث حفظهم ورعايتهم، وليطلب من الإمبراطور السماح بعودة العلاقات التجارية بين رعايا الجانبين، وامكانية توثيق ذلك بعقد الهدنة بين الجانبين وبناء عليه يتم ترتيب السفارات الرسمية لأجل ذلك^(٥٦)، ولا شك ان اختيار السيدة العمة لبطريك بيت المقدس انما يعبر عما تحلت به من حسن الرأي والسياسة اذ انه من يمكن ان يطمئن البيزنطيون إلى ما سيقوله عن تغير سياسة الفاطميين ووضع النصارى والاماكن المقدسة.

وقد التقى البطريرك نيقفور الإمبراطور وهو على مشارف القسطنطينية عائداً بعد انتصاره من بلاد الكرج (الأبخاز)^(٥٧) حيث دخل معه اليها^(٥٨)، واطلعه على ما أرسل به ولكنه لم يتمكن

من اتمام مهمته بنجاح حيث اضطر للعودة دون اجابة نظرا لوفاة مرسلته ست الملك عام ٤١٥ هـ^(٥٩).

٢- سفارة عام ٤٢٣ هـ / ١٠٣٢ م وعقد الهدنة بين الدولة الفاطمية والإمبراطورية البيزنطية:

كان الخليفة الفاطمي الظاهر مدركا لضرورة مهادنة الدولة البيزنطية كما فعلت عمته ست الملك من قبل، ولذلك يبدو أنه أوعز إلى قائده على الجيوش الفاطمية في الشام وهو أنوشكين الذبري^(٦٠) للقيام بمراسلة ومفاوضة البيزنطيين بشأن الصلح وعقد الهدنة، وبالفعل تم تبادل الرسائل بين الذبري وبين نظيره حاكم أنطاكية البيزنطي في هذا الشأن ولكنهما اختلفا حول أحد الحصون بل ان حاكم أنطاكية قام بمهاجمة ذلك الحصن مما أدى إلى قيام الذبري بالحشد لغزو الروم وأمر الخليفة الظاهر بالمنادة بالنفير للغزو في مصر والشام مما اضطر حاكم أنطاكية إلى مراسلة الذبري يخبره باستعداده لتنفيذ الصلح، وتم الاتفاق على أن يبعث الخليفة الظاهر سفيران منه إلى الإمبراطور البيزنطي يتوجهان أولا إلى الذبري في دمشق، وأن يبعث الإمبراطور رومانوس الثالث (٤١٩ - ٤٢٥ هـ / ١٠٢٨ - ١٠٣٤ م) كذلك سفيران من جهته إلى الظاهر يتوجهان أولا إلى أنطاكية ثم يلتقي السفراء في أنطرسوس^(٦١)، حيث كانت آنذاك تمثل منطقة حدودية بين أراضي الروم وأراضي المسلمين، وبعدها انطلق كل وفد إلى وجهته لمناقشة بنود الهدنة التي يقبل بها كل طرف^(٦٢).

وقد شملت الهدنة عدة شروط من كل طرف كالاتي:

(٣) أن يسمح الظاهر للإمبراطور البيزنطي بإعادة تعمير كنيسة القيامة، وأن يعين بطريركاً لبيت المقدس.

(٤) أن يتم السماح للمسيحيين بإعادة تعمير الكنائس التي تم هدمها في الأراضي الفاطمية فيما عدا ما قد عُمل مسجداً.

(٥) أن يلتزم الخليفة الفاطمي بعدم تقديم المساعدة لصاحب صقلية او غيره من أعداء الدولة البيزنطية على ان تلتزم الدولة البيزنطية بذلك ايضا تجاه اعداء الفاطميين.

وفي المقابل:

- ٦) أن يتم إعادة تعمير جامع القسطنطينية واقامة مؤذن به.
- ٧) أن تتم الخطبة للخليفة الفاطمي الظاهر في سائر المساجد الواقعة في الأراضي البيزنطية بما فيها جامع القسطنطينية.
- ٨) أن يطلق البيزنطيين سراح الأسرى المسلمين الذين تم أسرهم في عهد الإمبراطور رومانوس.

وكان احد النقاط الخلافية بين الطرفين هي اشتراط الإمبراطور البيزنطي عدم تعرض الفاطميين لحلب او مهاجمتها اطلاقا نظرا لأنها كانت تدفع جزية سنوية للبيزنطيين، ولكن الظاهر رفض هذا الشرط تماما او ان يذكر في بنود الهدنة، وقد ظلت هذه المسألة خاضعة للتفاوض بين الطرفين خلال السنوات التالية.

كذلك التمس الإمبراطور البيزنطي من الظاهر مسألتين بشكل خاص وهما:

- ٩) ان يقبل العفو عن حسان بن مفرج بن الجراح صاحب الرملة الذي خرج على طاعة الخليفة الفاطمي^(٦٣)، ولكن الظاهر رفض قبول حسان.
- ١٠) أن يتنازل له الظاهر عن حصن أفامية في مقابل ان يسلمه حصن شيزر، ولكنه رفض كذلك هذا العرض^(٦٤)، ويبدو أنه تم اقرار الهدنة بشكل مؤقت على النحو السابق.
- ٣- سفارة عام ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م:

ينفرد المقريري بخبر اتمام الهدنة بين الخليفة الظاهر والإمبراطور ميخائيل الرابع Michael IV (٤٢٦-٤٣٣ هـ / ١٠٣٤-١٠٤١ م) وانها انعقدت بينهما في ذلك العام ولمدة عشر سنين^(٦٥)، ويبدو أنه قد تم ذلك من خلال سفارة متبادلة من كلا الجانبين مثلما تم عند عقد الهدنة السابقة في عام ٤٢٣ هـ / ١٠٣٢ م، ويبدو كذلك أنه قد سبقتها عدة سفارات كما ذكر لنا يحيى بن سعيد كان الغرض منها التفاوض حول ذلك البند الخلافي المتعلق بحلب^(٦٦) ولا توجد معلومات واضحة حول ما تم الاتفاق عليه بين الجانبين في هذا الشأن، ولكن من الأحداث اللاحقة يتضح لنا أن البيزنطيين تنازلوا عن تمسكهم بمسألة حلب تلك ففي عام ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م استغاث نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب بالإمبراطور البيزنطي ميخائيل الرابع ضد المستنصر لكن الإمبراطور اشار عليه بالدخول في طاعة الخليفة

الفاطمي^(٦٧)، وفي العام التالي قام الدزبري بقتل نصر واستولى على حلب وبالتالي عادت سيطرة الفاطميين عليها دون أدنى تدخل من الروم^(٦٨).

هـ - السفارات المتبادلة في عهد المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م):

شهدت بداية عهد المستنصر بالله ابن الظاهر تحسناً معقولاً في العلاقات الفاطمية البيزنطية، وان كانت مدة حكم المستنصر الطويلة التي امتدت لأكثر من ستين سنة^(٦٩) شهدت فيما بعد تعرض تلك العلاقات للتذبذب الا انها كانت سرعان ما تعود إلى الاستقرار.

١ - هدنة عام ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م:

لا تقدم لنا النصوص معلومات واضحة حول كيفية اتمام هذه الهدنة او السفارات التي تم تبادلها بين الطرفين لأجل ذلك الغرض، ولكن من خلال ما ذكره لنا ابن الأثير والمقريزي يمكننا استنباط أن الروم قاموا بإرسال سفارة إلى القاهرة لتجديد الهدنة القائمة بالفعل وتطلب تمكينهم من بذل المزيد لتعمير كنيسة القيامة في بيت المقدس، وفي المقابل اشترط الفاطميون للموافقة أن يطلق الإمبراطور البيزنطي سراح خمسة آلاف أسير^(٧٠) واغلب الظن أنه كما اقتضت العادة تم ارسال سفارة فاطمية مصاحبة للسفارة البيزنطية إلى القسطنطينية لإتمام الإتفاق.

٢ - السفارة البيزنطية إلى القاهرة عام ٤٣٧ هـ / ١٠٤٦ م:

وردت تلك السفارة إلى القاهرة في ذي الحجة عام ٤٣٧ هـ / ١٠٤٦ م من قبل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع مونوماكوس **Constantine IX Monomachos** (٤٣٤ - ٤٤٦ هـ / ١٠٤٢ - ١٠٥٤ م) وكان غرضها اتمام وتجديد الهدنة التي عقدها البيزنطيون في السابق مع الظاهر لإعزاز دين الله في عام ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م على ان يتم تجديدها لمدة عشر سنوات أخرى^(٧١).

والواقع أنه قد سبق تلك السفارة عدة سفارات بين الجانبين لعقد الصلح^(٧٢) نظرا لقيام البيزنطيين بنقض الهدنة فعليا عام ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م، عندما قام الإمبراطور البيزنطي آنذاك ميخائيل الرابع بمراسلة بني مرداس لاستمالتهم ضد الدزبري قائد الجيوش الفاطمية في الشام،

ثم قيام قواته بالإغارة على أراضي الفاطميين في حلب وأقامية مما أدى إلى وقوع الحرب والتقاء قوات الروم مع قوات الدزبري والتي تمكنت من تحقيق النصر على الروم بل وأسر ابن عم الإمبراطور، مما اضطر البيزنطيين إلى مهادنة الدزبري واقتداء الأسير بالأموال وإطلاق عدد من أسرى المسلمين، ثم السعي في المصالحة واستئناف الهدنة^(٧٣).

وقد أرسل الإمبراطور قسطنطين في تلك السفارة التي نحن بصدها عام ٤٣٧ هـ / ١٠٤٦ م هدية عالية القيمة حيث اشتملت على ثلاثين قنطاراً من الذهب بالإضافة إلى عدد كبير من البغال والأحصنة المميزة والقيمة، والأواني الذهبية والفضية والأقمشة النفيسة، وإطلاق الإمبراطور في صحبة تلك الهدايا مائتي رجل من أسرى المسلمين، وكان على رأس هذه السفارة رجلين سفيرين عن الإمبراطور قسطنطين وهما: شخص يذكره المقريزي باسم ابن أصفطانوس وكان هو المتحدث الرئيسي والمترجم لرسالة الإمبراطور نظراً لأنه نشأ بأنتاكية وذهب إلى العراق وتعلم بها، أما الآخر يبدو أنه كان من القادة العسكريين ذكر المقريزي أنه يدعى ميخائيل وكان مسؤولاً عن تقديم هدية الإمبراطور إلى المستنصر، وقد انبهر السفيرين بما شاهداه من مظاهر الفخامة والعظمة التي يحرص الفاطميون على إظهارها في تلك المناسبات، ويذكر المقريزي أن ميخائيل هذا قد أصبح فيما بعد إمبراطوراً^(٧٤)، ربما يقصد ميخائيل السادس Michael VI Bringas (٤٤٨ - ٤٤٩ هـ / ١٠٥٦ - ١٠٥٧ م)^(٧٥).

جدير بالذكر أنه في المقابل وكما جرت العادة تم مقابلة هدية الروم بهدية اعظم منها حيث اشتملت هدية الفاطميين المرسله إلى القسطنطينية على أصناف الجواهر والعطور والأقمشة والألبسة رفيعة القيمة^(٧٦).

٣- سفارة بيزنطية إلى المستنصر عام ٤٤٠ هـ / ١٠٤٩ م:

تعتبر هذه السفارة ذات طبيعة خاصة تختلف عن السفارات المعتادة بين الجانبين، إذ أن هدفها كان التوسط للصلح بين بني مرداس حكام حلب وبين الخليفة الفاطمي بعدما تطور الخلاف بين الجانبين ليصل إلى قيام الخليفة المستنصر بتجهيز حملة ضخمة متوجهة إلى حلب^(٧٧).

ان قيام البيزنطيين بهذا الدور هو أمر غير معتاد، لا يمكننا القول انه كان بدافع التدخل او بسبب التنافس مع الفاطميين على السيطرة في تلك المنطقة، وانما فيما يبدو أن الإمبراطور قسطنطين كان يأمل أن تظل الأمور مستقرة نسبيا على تلك الجبهة خاصة أن بني مرداس كانوا حلفاءهم السابقين وهم الآن يتعرضون لهجوم شديد من الفاطميين، وفي الوقت ذاته هو يريد المحافظة على الصلح القائم بينه وبين الخليفة الفاطمي خاصة أن هذا الإمبراطور يميل إلى حياة الترف والمرح كما أنه عانى في السنوات السابقة من ثورتين في عامي ٤٣٤ هـ / ١٠٤٣ م و ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧ م كادت أن تفقده العرش واحوال الإمبراطورية الداخلية كانت في وضع صعب^(٧٨)، كما أنه كان يعاني ضعف موقفه في البلقان وبالتالي الوضع الخارجي للإمبراطورية أيضا لم يكن ليتحمل خلافا مع جارة قوية مثل الدولة الفاطمية^(٧٩).

٤ - سفارة من المستنصر إلى القسطنطينية عام ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م:

في ذلك العام وصل سفير الخليفة المستنصر إلى القسطنطينية بهدية عظيمة إلى الإمبراطور قسطنطين التاسع^(٨٠). ليس هناك سبب واضح مذکور لهذه السفارة وتلك الهدية ولكن ربما كانت حفاظا على أوامر الود والتفاهم بين الجانبين، أو لعله قد نما إلى علم الخليفة خبر القبض على السفير العباسي المتوجه إلى بني زيري في افريقية كما سيأتي.

بالفعل كان من عوائد هذه السفارة أن قام الإمبراطور البيزنطي بإرسال سفير الدولة العباسية المبعوث بالخلع ولواء العباسيين إلى حاكم افريقية الزيري المعز بن باديس^(٨١) مع السفير الفاطمي وارساله إلى الخليفة المستنصر في القاهرة حيث تمت اهانة السفير العباسي وحرق الخلع واللواء ثم اعادته إلى قبضة الإمبراطور البيزنطي^(٨٢). وسبب هذه الأحداث هو قيام المعز بن باديس بالخروج على طاعة الفاطميين ومكاتبته للخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ / ١٠٣١ - ١٠٧٥ م) لإقامة الدعوة للعباسيين في افريقية، ويبدو أن العباسيون أرادوا استغلال الفرصة للإيقاع بين الدولتين الفاطمية والبيزنطية عندما ارسلوا سفارتهم التي تحمل الخلع إلى المعز بن باديس من طريق القسطنطينية، لكن الإمبراطور قسطنطين أفسد خطتهم عندما قبض على السفير العباسي وارسله إلى القاهرة حفاظا على المعاهدة بينه وبين المستنصر^(٨٣).

٥- سفارة من المستنصر عام ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م:

أرسل الخليفة المستنصر في هذا العام سفارة إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع تطلب منه امداد مصر بالقمح وذلك لمواجهة المجاعة التي وقعت بسبب انخفاض النيل^(٨٤).

وافق الإمبراطور البيزنطي على طلب الخليفة وقرر ارسال أربع مائة ألف أردب من القمح، ولكن أثناء اعداد شحنات القمح تلك وقبل ارسالها توفي الإمبراطور البيزنطي سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م وخلفته في الحكم الإمبراطورة ثيودورا Theodora، وقد أوقفت الإمبراطورة شحنات القمح ويبدو أنها ردت السفير الفاطمي إلى مصر بعد أن حملته برسالة منها إلى الخليفة المستنصر تشترط عليه معاونتها عسكرياً ضد أي معتدي على امبراطوريتها، وبالطبع يعد هذا الشرط الذي وضعته الإمبراطورة شديد الصعوبة ولذلك فقد رفضه الخليفة وازاء ذلك الرفض قامت ثيودورا بمنع شحنات القمح عن الدولة الفاطمية^(٨٥).

أدى موقف الإمبراطورة البيزنطية إلى تدهور وتوتر في العلاقات بين الجانبين حيث بادر المستنصر إلى تجهيز جيش كبير لمهاجمة البيزنطيين في الشام تحت قيادة مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم^(٨٦)، وأتبع هذا الجيش بقوات أخرى كما نودي في سائر الشام بالغزو إلى بلاد الروم، وقد قاد ابن ملهم القوات الفاطمية لمهاجمة أعمال أنطاكية مما اضطر الإمبراطورة ثيودورا إلى ارسال أسطول مكون من ثمانين قطعة بحرية تمكنت بعد عدة معارك من أسر ابن ملهم وعدد من القادة العرب^(٨٧).

٦- سفارة أبو عبد الله القضاعي^(٨٨) من الخليفة المستنصر إلى الإمبراطورة ثيودورا عام

٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م:

أرسل الخليفة المستنصر في ذلك العام سفيره القضاعي إلى القسطنطينية، على خلفية أزمة العلاقات الدبلوماسية السابق ذكرها مع الإمبراطورة ثيودورا والتي أدت إلى أسر قائد الجيوش الفاطمية المرسل إلى الشام لمواجهة البيزنطيين وقادة آخرين، وقد اكتفت المصادر التاريخية بذكر أن القضاعي سفير الفاطميين توجه برسالة من الخليفة المستنصر إلى الإمبراطورة البيزنطية دون التطرق إلى محتواها، ولكن أغلب الظن أنها شملت توضيحاً لوجهة النظر الفاطمية فيما حدث من خلاف بين الدولتين، وتذكيراً للإمبراطورة كونها قد بدأت هذا الخلاف

عندما حالت دون اتمام صفقة الغلال، كما يبدو أنها شملت طلباً للإفراج عن القادة الفاطميين وعلى رأسهم ابن ملهم وهو ما تم بالفعل فيما بعد في وقت لاحق، إذ نجد أن ابن ميسر قد ذكر في أحداث عام ٤٤٩ هـ خبراً عن توجيه المستنصر لقائه مكين الدولة ابن ملهم إلى حلب ليستلم حكمها رفقة عدد من نواب المستنصر الآخرين^(٨٩).

رد فعل الإمبراطورة البيزنطية على رسالة المستنصر كان سلبياً، فيما يبدو، إذ أنه أثناء وجود القضاعي في القسطنطينية وصلت سفارة من السلطان السلجوقي طغرلبيك^(٩٠)، وكان غرض تلك السفارة هو التماس إلى الإمبراطورة أن تُمكن السفير العباسي الشريف ناصر بن اسماعيل من الصلاة والخطبة للخليفة القائم العباسي في جامع القسطنطينية، وهو الأمر الذي كان يتم للفاطميين بحكم المعاهدات السابقة عقدها بين الطرفين، فقبلت ذلك في حين لم تُمكن السفير الفاطمي من القيام بذلك.

يبدو أن طغرلبيك أراد أن يقتنص فرصة الخلاف بين البيزنطيين والفاطميين لتحقيق تقدم على الفاطميين من خلال استعادة الخطبة للخليفة العباسي في جامع القسطنطينية وقطعها للفاطميين، وفي الوقت ذاته رأى البيزنطيون في السلاجقة خطراً أشد عليهم من الفاطميين الذين تراجع قوتهم وأصبحت أراضيهم في الشام مهددة من قبل السلاجقة كذلك.

وعلى إثر ذلك، أرسل القضاعي إلى المستنصر يخبره بما حدث، فبادر المستنصر على الفور بإرسال رجاله إلى كنيسة القيامة في فلسطين حيث تم أخذ جميع ما فيها كما تم اخراج بطريك الروم الأرثوذكس منها وحبسه في دار مفردة، ولم يكتفِ بهذا بل قام بالتضييق على كافة المسيحيين في مصر والشام فأغلق الكنائس وزاد عليهم الجزية وطالب الرهبان أيضاً بسدادها لمدة أربع سنوات^(٩١).

و- السفارات بين الجانبين في النصف الثاني من عمر الدولة الفاطمية (عصر الضعف):

بعد تلك الأحداث لم يرد في المصادر ذكر لأي اتصال سلمي أو تبادل سفراء بين الجانبين، خاصة أن كلتا الدولتين انشغلتا بالفتن والأزمات الداخلية، وكذا خارجياً بسبب تنامي قوة السلاجقة المتحمسين لنصرة الخلافة العباسية السنية فقاموا لذلك بإرسال حملة لمحاربة

الفاطميين في الشام واستطاعوا الاستيلاء على حلب سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م كما استردوا مكة والمدينة وأعادوها لسلطان العباسيين^(٩٢)، وفي العام نفسه تمكنوا تحت قيادة السلطان ألب أرسلان من هزيمة البيزنطيين هزيمة ساحقة في معركة مانزكرت حتى أنه تم أسر الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجنيس Romain IV Diogene (٤٥٩ - ٤٦٣ هـ / ١٠٦٧ - ١٠٧١ م)^(٩٣)، وكان من نتائج هزيمة البيزنطيين في مانزكرت القضاء على ما تبقى من تحالف وتوافق بين الدولتين الفاطمية والبيزنطية^(٩٤)، ثم ما لبثت الحملات الصليبية أن قضت على ما تبقى من نفوذ الدولتين وتماسكهما.

١- ورد في بعض المصادر الصليبية أن ثمة تواصل حدث بين الطرفين الفاطمي والبيزنطي في عهد الخليفة الفاطمي المستعلي بالله (٤٨٧ - ٤٩٥ هـ / ١٠٩٤ - ١١٠١ م)، وذلك في أثناء توغل الحملة الصليبية الأولى في الشام وتوجهها نحو بيت المقدس الذي كان خاضعاً لسلطة الفاطميين، حيث أرسل الفاطميين إلى الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس الأول كومنين (٤٧٣ - ٥١٢ هـ / ١٠٨١ - ١١١٨ م) لسؤاله عن تبعية الحملة الصليبية له، وقد أنكر الإمبراطور البيزنطي ذلك كما أمد الفاطميين في رده ببعض المعلومات عن الحملة كما حرضهم على مقاومة الصليبيين^(٩٥).

٢- كذلك تحدثت الأميرة البيزنطية أنا كومنينا عن سفارة من أبيها الإمبراطور ألكسيوس كومنين أيضاً إلى الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله بن المستعلي (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠١ - ١١٣٠ م) كان عرضها إطلاق سراح ثلاثمائة من الصليبيين وأمرائهم الذين تم أسرهم عند الرملة في واحدة من الحملات الفاطمية التي خرجت لمواجهة الصليبيين في الشام سنة ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م وتم ارسالهم مقيدون بالسلاسل إلى مصر^(٩٦)، وقد اختار الإمبراطور لهذه المهمة سفيره "نيكيتاس بانكومييتس Panoukomites" وقد أرسل معه أموالاً لفداء الأسرى ورسالة منه إلى الخليفة الفاطمي قرأها السفير البيزنطي بنفسه على مسامع الخليفة تحوي رجاءً لإطلاق سراح الأسرى والإذن برجعهم، وقد وافق الخليفة وأمر بإطلاقهم على الفور حيث تم تسليمهم إلى السفير البيزنطي الذي عاد بهم في الحال، وإن ما يثير العجب في موقف الخليفة الفاطمي هو قيامه بإطلاق سراحهم هكذا دون أي مقابل حتى أنه رفض تسلم الأموال التي أرسلها الإمبراطور البيزنطي^(٩٧).

٣- في عهد الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله (٥٤٩ - ٥٥٥ هـ / ١١٥٤ - ١١٦٠ م)^(٩٨)، أرسل الإمبراطور البيزنطي آنذاك مانويل كومنين (١١٤٣ - ١١٨٠ م) سفارة بيزنطية إلى القاهرة وذلك في عام ٥٥٣ هـ / ١١٥٨ م، تطلب مساعدة الدولة الفاطمية بالسفن والقطع البحرية لمواجهة صاحب صقلية والذي كان آنذاك ويليام الأول William I, The Bad (١١٥١ - ١١٦٦ م)، ويبدو أن الرد الفاطمي على الطلب البيزنطي كان ايجابياً وأكثر مما طلب الإمبراطور حيث خرجت قوات برية وبحرية عادت بالغنائم والأسرى وكان من جملة هؤلاء الأسرى شقيق صاحب قبرص والذي تم إرساله إلى القسطنطينية^(٩٩).

الحواشي:

(^١) السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٥، ص ١٩، زبيدة محمد عطا: الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٢٩.

(^٢) Ostrogorsky, G.: History of the Byzantine state, translated by Joan Hussey, Oxford, 1968, p. 110.

(^٣) زبيدة عطا: الشرق الإسلامي، ص ٢٩ : ٣١.

(^٤) كان نقفور فوقاس من كبار القادة البيزنطيين الذين اشتهروا في عهد الإمبراطور قسطنطين السابع كما نال أفراد أسرته خاصة جده ووالده شهرة مماثلة وقد اشتهر بالورع والتقوى، وتم تتويجه امبراطورًا بالمشاركة مع ولدي الإمبراطور رومانوس الثاني.

John Skylitzes, A Synopsis of Byzantine History 811– 1057, translated by John Wortley, Cambridge Un. Press, 2010, pp. 249, 250,

العريني: الدولة البيزنطية، ص ٤٦١.

(^٥) الأنطاكي (يحيى بن سعيد بن يحيى): تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيا، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طرابلس، ١٩٩٠، ص ١٣٧.

(6) Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p. 297.

(^٧) تاريخ الأنطاكي، ص ١٤٦، المقرئزي (تقي الدين أحمد بن علي): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٩٦، ج، ١، ص ١٢٦، بدر عبد الرحمن: تطور العلاقات الفاطمية البيزنطية، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٠.

(^٨) كان من أشهر قادة الجيش البيزنطي وكان رجلاً طموحاً أمر نيقفور فوقاس بإبعاده إلى بعض أملاكه في آسيا الصغرى لكن الإمبراطورة ثيوفانو راسلته سرًا وتآمرت معه على زوجها نيقفور وتم قتله ومن ثم تتويج زيمسكس امبراطورًا.

Matthew of Edessa's Chronicle, Trans. By Robert Bedrosian, N.J., 2017, p. 2.

(^٩) المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(^{١٠}) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢١٤.

(^{١١}) تاريخ الأنطاكي، ص ١٤٨، ١٥٢، ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري): الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ج ٧، ص ٣٤٤، العريني: الامبراطورية البيزنطية، ص ٥٥٢، ٥٥٣.

(^{١٢}) تاريخ الأنطاكي، ص ١٤٩.

(13) Ostrogorsky: op. cit., p. 297.

(١٤) تاريخ الأنطاكي، ص ١٦١ - ١٦٣، كذلك:

Matthew of Edessa's Chronicle ,pp. 8: 10.

حيث ذكر الامبراطور زيمسكس تفاصيل انتصاراته على القوات الفاطمية وأسرته للقادة الفاطميين في رسالة أرسلها الى ملك أرمينيا آنذاك (أشوت الثالث (Ashot III)،

العربي: الامبراطورية البيزنطية، ص ٥٥٤، ٥٥٥، بدر عبد الرحمن: تطور العلاقات، ص ٢١.

(١٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٣٦٠، المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٢٢٥، ٢٢٦، ابن حماد(أبو عبد الله محمد بن علي): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة التهامي نقره وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠١ هـ، ص ٩١.

(١٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٣٦٠، سليمان الرحيلي: السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية، الرياض، ١٤١٤ هـ، ص ١٨٣.

(١٧) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٣٦٠، المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٢٣١.

(١٨) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٢١، المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٢٦٩، ابن تغري بردي(جمال الدين يوسف أبو المحاسن الأتابكي): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج ٤، ص ١٢٢.

(19) Matthew of Edessa's Chronicle, p. 15, Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p. 308.

(٢٠) المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٢٧٥.

(٢١) المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٨١، ٢٨٢.

(٢٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٢٤.

(٢٣) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٢٨، ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٤٥٦.

(٢٤) الروذراوري (الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين): ذيل كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه، القاهرة، ١٩١٦، ص ٢٢١، ٢٢٠، تاريخ الأنطاكي، ص ٢٢٨: ٢٢٩، ابن القلانسي(الرئيس الأجل حمزة بن أسد بن علي): تاريخ دمشق، تحقيق سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ١٩٨٣، ص ٧٣، ٧٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٢٥، المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٢٨٦، ٢٨٧.

(٢٥) المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٢٨٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ١٥٥ ولكنه ذكر أخبار هذه السفارة ضمن اخبار عام ٣٧٧ هـ ويبدو ان هذا وهم اذ انه في ذات السياق ذكر تكليف العزيز لعيسى بن نسطورس بإنشاء الاسطول والحريق الذي شب فيه في ذات السنة ذلك في حين ان المؤرخين السابقين عليه مثل الأنطاكي والمقرئزي ذكروا حادثة الاسطول تلك في سياق التصدي للامبراطور باسيل سنة

٣٨٥ و ٣٨٦ هـ ولذلك رجحت الباحثة هنا رواية المقرئ عن تاريخ السفارة وانها هي ذاتها التي ذكر ابن تغري بردي تفاصيلها، انظر: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٣٣.

(٢٦) هو الاستاذ ابو الفتوح برجوان كان صاحب خزانة العزيز بالقصر، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ١٢٦.

(٢٧) الروذراوري: ذيل تجارب الأمم، ص ٧٤، تاريخ الانطاكي، ص ٢٣٥، ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٧٤، ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي): المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ج ١٤، ص ٣٨٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٤٧٧، المقرئ: اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٢٩١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ١٢٦، ص ١٢٧.

(٢٨) تاريخ الانطاكي، ص ٢٤٨، العريني: الدولة البيزنطية، ص ٦٧٣.

(٢٩) الروذراوري: ذيل تجارب الأمم، ص ٢٢٦، تاريخ الأنطاكي، ص ٢٤٠، ٢٤١، ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٨٣، المقرئ: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٨، عبد الرحمن بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق ومراجعة خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠، ج٤، ص .

(٣٠) الروذراوري: ذيل تجارب الأمم، ص ٢٢٧، ٢٢٨، تاريخ الأنطاكي، ص ٢٤٢، ٢٤٣، ابن القلانسي: المصدر السابق، ص ٨٤:٨٦، ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص ٤٨١، المقرئ: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٩.

(31) Ioannis Zonarae: Epitomae Historiarum, libri XIII, CSHB, Bonnae 1897, pp. 559, 560,

العريني: الدولة البيزنطية، ص ٦٧٣.

(٣٢) تاريخ الانطاكي، ص ٢٤٨، العريني: الدولة البيزنطية، ص ٦٧٤.

(٣٣) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٤٣: ٢٤٦، المقرئ: اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٣٢، العريني: الدولة البيزنطية، ص ٦٧٦.

انظر ايضا :

Skylitzes: Byzantine History, p. 322

(٣٤) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٤٨.

(٣٥) يبدو ان والدة سيدة الملك كانت رومية مسيحية، اذ تم تنصيب اخويها أريسطس المذكور واخوه أرسانيوس في المناصب الدينية على رأس الطائفة الملكانية في مصر وبيت المقدس، انظر: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٣، ٢٤٩.

K. E. F. Thomson (2008) Relations between the Fatimid and Byzantine empires during the reign of the caliph al-Mustansir bi'llah, 1036-1094/427-487, Byzantine and Modern Greek Studies, 32:1, p 53.

(٣٦) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٤٨، ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٩٠، ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص ٤٨٢،

J. Shepard and S. Franklin, Byzantine-Arab diplomacy in the Near East from the Islamic conquests to the mid eleventh century, (Aldershot, Ashgate 1992), p143.

(٣٧) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٤٨.

(٣٨) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٩٠.

(٣٩) اشتهر الفاطميين باهتمامهم بصناعة النسيج واهتموا بدور الطراز نظرا لحب الخلفاء الفاطميين للظهور بمظاهر العظمة والأبهة، وفي هذا النص الديباج يعني الحرير وقد تم تطريزه بخيوط مذهبة وكان عادة يتم تخصيص سطران من الجوانب بالخط العربي تضم اسم الخليفة ونوع الطراز ومكان الصناعة.

قدرية توكل السيد: فن صناعة النسيج في العصر الفاطمي "في ضوء ثلاث قطع تنشر لأول مرة"، دراسات في آثار الوطن العربي، مج ١٨، العدد ١٨، ٢٠١٥، ص ٦٦١، ٦٦٢.

(٤٠) القاضي الرشيد ابن الزبير: الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، الكويت، ١٩٥٩، ص ١٥٠، ١٥١.

(٤١) المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٣٩.

(٤٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥.

(٤٣) الحافظ أبو محمد المصري عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشر بن مروان بن عبد العزيز بن مروان، كان محدثا مشهورا صنف عدة كتب، وقد ولد سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٤ م وتوفي سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٩ م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٢٤٣.

(٤٤) اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٠١.

(٤٥) اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٩٩.

(٤٦) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٥٦، المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٥٣.

(٤٧) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٧٩، ٢٨٠، المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٧٥.

(٤٨) تاريخ الأنطاكي، ص ٢٨٢، ٢٨٣.

(٤٩) المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٩٤.

(٥٠) هي في الأصل بستان لريدان الصقلي الذي كان خادما للخليفة العزيز بالله، وعرفت فيما بعد بالريدانية وتقع بالقرب من العباسية الحالية. المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٠٧، حاشية رقم ٣.

(٥١) هو ابن عمه عبد الرحيم بن الياس بن احمد المهدي، وقد دعا له الحاكم فوق المنابر في رمضان سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٤ م حيث سماه ولي عهده والخليفة من بعده كما أنه أوكل اليه النظر في كثير من الأمور، وقد تم قتله بعد مقتل الحاكم مباشرة بأمر من ست الملك اخت الحاكم.

تاريخ الأنطاكي، ص ٣٣٣، المقرئزي: اتعاض الحنفا، ج٢، ص ١٠٣، ابن سعيد الأندلسي: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة (القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب)، تحقيق حسين نصار، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٧٤.

(٥٢) المقرئزي: اتعاض الحنفا، ج٢، ص ١٠٧، ١٠٨.

(٥٣) هم العاملون في (الركاب خاناه) او بيت الركاب الذي يشتمل على عدد الخيل من السروج واللجم وغيرها.

انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص ١٢.

(٥٤) المقرئزي: اتعاض الحنفا، ج٢، ص ١٠٨.

(٥٥) تاريخ الأنطاكي، ص ٣٢٤، بدر عبد الرحمن: العلاقات التجارية بين الفاطميين والبيزنطيين حتى سقوط الخلافة الفاطمية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٥٦.

(٥٦) تاريخ الأنطاكي، ص ٣٨٧.

(٥٧) بلاد الكرج أو الأبخاز كانت من الممالك المسيحية المتاخمة لجمال القوقاز. العريني: الدولة البيزنطية، ص ٧١٩.

(٥٨) تاريخ الأنطاكي، ص ٣٨٧، العريني: الدولة البيزنطية، ص ٧٠١.

(٥٩) تاريخ الأنطاكي، ص ٣٨٧، المقرئزي: اتعاض الحنفا، ج٢، ص ١٧٤، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٤، ص ٢٤٨.

(٦٠) الدزيري نسبة إلى مولاه القائد دزير بن أونيم الديلمي، وأنوشكين الدزيري تركي الأصل من بلاد ما وراء النهر تم اهداؤه فيما بعد إلى الخليفة الحاكم بأمر الله وترقى في الخدمة حتى عينه الخليفة الظاهر في عام ٤١٩ هـ على ولاية دمشق ولقبه بعدة القاب منها الأمير المظفر، أمير الجيوش، عضد الدولة شرف المعالي أبو منصور.

ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ١١٦.

(٦١) أنطرسوس: هي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص بناها معاوية وحصنها واقطع القطائع للجنود بها.

ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٢٧٠.

(٦٢) تاريخ الأنطاكي، ص ٤٣١، ٤٣٤.

(٦٣) عن مبتدأ مسألة حسان بن الجراح وخروجه على طاعة الفاطميين انظر: المقرئزي: الاتعاض، ج٢، ص ١٥٠، ١٥١.

(٦٤) عن بنود الهدنة وقرار هذا الصلح انظر كل من:

تاريخ الأنطاكي، ص ٤٣٦: ٤٣٨، المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٧٦ لكنه يذكر اقرار هذه الهدنة عام ٤١٨ هـ .
 (٦٥) المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٨٢ .
 (٦٦) تاريخ الأنطاكي، ص ٤٣٨ .
 (٦٧) المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٨٦ .
 (٦٨) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ٢٢٨ .
 (٦٩) المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٨٤ .
 (٧٠) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٢٨، المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٨٧، بدر عبد الرحمن: تطور العلاقات الفاطمية البيزنطية، ص ٣١، ٣٢ .
 (٧١) القاضي الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، الكويت، ١٩٥٩، ص ٧٤ .
 (٧٢) المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٩٤ .
 (٧٣) المصدر نفسه والجزء، ص ١٨٨، ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٤٧ .
 (٧٤) المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢٢٧ .
 (٧٥) ميخائيل السادس يعرف أيضا باسم ستراتيوتيكوس وقد كان بطريقا أمضى حياته في المعسكرات، تم اختياره خلفا للامبراطورة ثيودورا ابنة قسطنطين الثامن، لكنه لم يتمكن من الحكم سوى سنة واحدة بسبب قيام الثورة سنة ١٠٥٧ م اذ كانت الامبراطورية آنذاك تعاني من صراع مرير بين الحزبين المدني والعسكري على السلطة.

Ostrogorsky: History of the Byzantine state, p. 338,

العريني: الدولة البيزنطية، ص ٧٧٠ .
 (٧٦) الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف، ص ٧٤، ٧٥، المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٩٤ .
 (٧٧) ابن ميسر (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف): أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٨٤، المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢٠٢ .
 (٧٨) العريني: الدولة البيزنطية، ص ٧٤٢، ٧٤٩ .

(79) Thomson : Relations between the Fatimid and Byzantine empires, p 56.

(٨٠) المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢١٤ .
 (٨١) المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيري الصنهاجي رابع الأمراء الزيريين تولى سنة ٤٠٦ ومات سنة ٤٥٤ هـ وهو الذي نشر مذهب الامام مالك واقره في المغرب. انظر ترجمته واخباره عند: ابن عداري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان و ليفي بروفنسال، بيروت، ١٩٨٣، ج١، ص ٢٦٧، ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨، ج٥، ص ٢٣٣ .
 (٨٢) المقرئزي: اتعاظ، ج٢، ص ٢١٤، ابن ميسر: أخبار مصر، ص ١٤ .
 (٨٣) المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢٢٤، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٨٩، ١٩٠ .
 (٨٤) ابن ميسر: أخبار مصر، ص ١٦، ابن أبيك الدواداري (أبو بكر بن عبد الله): كنز الدرر وجامع الغرر، ج٦، تحقيق صلاح الدين المنجد، ص ٣٦٤ .
 (٨٥) ابن ميسر: أخبار مصر، ص ١٦ .
 (٨٦) الأمير أبو علي ابن ملهم العقيلي مكين الدولة وأميينها، أحد قادة الدولة الفاطمية في عهد المستنصر، وكان قائدا سديدا عاقلا .
 المقرئزي: المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩١، ج ٣، ص ٤٢٤، ٤٢٥ .
 (٨٧) ابن ميسر: أخبار مصر، ص ١٦، المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٢٢٩ .

- (٨٨) أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي المصري الشافعي قاضي مصر ومؤلف كتاب الشهاب، قال ابن ماكولا: "كان فقيها على مذهب الشافعي، متفنا في عدة علوم، وصنف، وحدث،.... ولم أر بمصر من يجري مجراه"، وقد توفي بمصر سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م.
- انظر أخباره وترجمته: ابن ميسر: أخبار مصر، ص ٣١، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢١٢، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٣، ص ١٦٨، ١٦٩، ابن حجر: رفع الاصر، ص ٣٥٧، ٣٥٨.
- (٨٩) ابن ميسر: أخبار مصر، ص ١٨.
- (٩٠) ركن الدين أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق، الملقب بـ (طغرلبك) ومعناها بالتركية الأمير الطائر، أول ملوك السلاجقة، وكانوا بادئ الأمر يعيشون فيما وراء النهر بالقرب من بخارى . انظر ترجمته: ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٢٢٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٦٣.
- (٩١) ابن ميسر: أخبار مصر، ص ١٧، المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٣٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٦٣.
- (٩٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٣٨٧، زبيدة عطا: الشرق الإسلامي، ص ٣٥.
- (٩٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٣٨٨، ولتفاصيل المعركة من وجهة النظر البيزنطية يُنظر: Cedrenus, Vol (II), pp. 590, 591
- (٩٤) زبيدة عطا: الشرق الإسلامي، ص ٣٦.
- (٩٥) ريمونداجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ١٨٨
- Regesta Regni Hierosolymitani (MXCVII- MCCXCI), Edidit Reinhold Rohricht, Oeniponti, Libraria academica Wagneriana, 1893, p 3,
- ستيفن رنسيان: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤، ج ١، ص ٤١٤.
- (٩٦) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ٥٦، وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، ١٩٩١، ج ٢، ص ٢٣٣.
- (٩٧) أنا كومنينيا: الألكسياد، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٤٦٦.
- (٩٨) أبو القاسم عيسى بن الظافر اسماعيل. المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٢١٣، ابن أيك الداواري: كنز الدرر، ج ٦، ص ٥٦٦.
- (٩٩) ابن ميسر: أخبار مصر، ص ١٩٣، ١٩٥، المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ٣، ص ٢٣٣، ٢٣٤.